كتاب مَقتَل عُثْمَان

للإمَام الأَعظَم زَيد بن عَلي عليه السَّلام

مُنتزع من مَجمُوع كُتبه ورسائِله

جمع وتحقيق
إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي

تقديم
شيخ الإسلام وإمام أهل البيت الكرام
مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي
أيده الله تعالى ونفع بعلومه

#95189324

منشورات
مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية
اليمن - صعدة - ت (٥١١٨١٦) ، ص.ب (٩١٠٦٤)

مقتل عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

[حوار الإمام زيد مع خالد بن صفوان حول مقتل عثمان]

عن العباس بن بكار[١]، قال: حدثنا شبيب بن شيبة[٢]، قال: سمعت خالد بن صفوان بن الأهتم المنقري، يقول: لما قدم زيد بن علي على هشام بن عبد الملك ـــ وهو يومئذ بالرصافة وكان الناس يُخبِّرون عن براعته، وكثرة علمه، وبيان حجته، وفصاحة لسانه، وشدة قلبه ـــ دخلت عليه في منزله فسلمت عليه، وجلست وهو متكيء، فذكرت له أمر أبي بكر وعمر، ثم ذكرت له قتل عثمان، وأنّه قتله قوم ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار.

فلما سمع كلامي استوى قاعداً فحمدالله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر أبا بكر وعمر.

---

(١) ـــ العباس بن بكار الضبي البصري، يروى عن عيسى بن يزيد، وعبدالله بن سليمان، وشبيب بن شيبة، وخالد بن أبي بكر الهذلي، وعبدالله بن المثنى، وحماد بن سلمة، وخالد بن عمر الأزدي. وروى عنه: محمد بن زكريا العلابي، وحسن بن علي بن زكريا. عرف بتشيعه، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يُغْرِب، حديثه عن الثقات لا بأس به. توفي بالبصرة سنة(٢٢٢هـ) وله من العمر (٩٣سنة)، خرّج له المرشد بالله، والجرجاني.

(٢) ـــ شبيب بن شيبة بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم أبو معمر البصري الخطيب ابن عم خالد بن صفوان، روى عن أبيه، وعن خالد بن صفوان، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، ومحمد بن سيرين. وروى عنه: العباس بن بكار، والأصمعي، وحبارة بن المغلس، وعيسى بن يونس، ووكيع بن الجراح وجماعة. كان بليغاً فصيحاً، قيل له الخطيب لفصاحته، وكان ينادم خلفاء بني أمية، ويفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم، توفي في حدود السبعين ومائة، روى عنه محمد بن منصور.

[مقتل عثمان]

ثم انتهى كلامه إلى ذكر عثمان، وأنه سار بسيرة صاحبيه، وكان على منهاجهما، ثم مال إلى الطلقاء(١)، وأبناء الطلقاء فاستزلوه فنكث على نفسه، فاجتمع في أمره المهاجرون والأنصار، فاستعتبوه فأبى إلا تمادياً فيما لا يوافق الكتابَ ولا السنّة ــ التي اجتمعوا عليها ــ فقتلوه.

فقلت له: أكل المسلمون قتله يا ابن رسول الله؟

فقال ــ عليه السلام: لا، لكن بعض قَتَلَ، وبعض خَذَلَ، والقاتل والخاذل سواء، فمكث ملقى لا تدفن جثته أياماً ثلاثة(٢).

فقلت: فما منعهم من دفنه يا ابن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ؟

فقال ــ عليه السلام: لو أنهم أرادوا دَفْنَهُ لم يروا قَتْلَهُ، فأقام ثلاثة أيام على المزبلة وكان الصبيان يمشون على بطنه، ويقولون:

أبا عمرو أبا عمرو رماك الله بالجَمرِ
وَلَقَاك من النّار مكانا ضَيِّقَ القَعْرِ
فما تصنعُ بالمال إذا أُحْدِرْتَ في القَبرِ

---

(١) ــ الطلقاء هم الذين عفى عنهم النبي (ص) يوم فتح مكة، وقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وكان معاوية بن أبي سفيان منهم، وبنو أمية.

(٢) ــ ذكر كثير من المورخين وأصحاب السير، منهم الطبري في تاريخه (١٣٨/٤) (موسسة الأعلمي)، واليعقوبي في تاريخه (٥٩/٢)، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة (٣٦٨/٢)، وابن عبد البر في الإستيعاب بهامش الإصابة (٨٠/٣)، وغيرهم كثير: أن جثة عثمان ألقيت على المزبلة و لم تدفن ثلاثة أيام، وأنه لم يغسل و لم يكفن و لم يُصَلّ عليه مدة ثلاثة أيام، وأنه دُفن سراً. انظر: الغدير ٢٠٨/٩ ــ ٢٠٩.

[مقتل طلحة والزبير]

ثم انطلق المسلمون من المهاجرين والأنصار فَتَشَاوَرُوا، فبايعوا علي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ طائعين غير مكرهين، راضين غير ساخطين، كلهم من المهاجرين والأنصار، والذي اتبعوهم بإحسان، حتى نَكَثَ بيعتة رجالٌ من المهاجرين من غير حَدَثٍ، ما نقموا منه غيرَ العدلِ في القضيةِ، والقَسْمِ بالسَّوِيَّةِ، وذلك أن طلحة والزبير أتيا ومعهما مولیان لهما، وحضر العطاء فأعطاهما أمير المؤمنين علي ـ صلوات الله عليه ـ وأعطى المولیين كما أعطا السيدين فغضب طلحةُ والزبير فنكثا البيعة، وأنشأا الحرب له، فَجَدَّ في قتالهما حتى نصره اللّه تعالى، فقُتِلا ناكثَيْن.

أما طلحة فرماه مروانُ بن الحكم[1] بسهم أصابه عند أصل السَّاق فنزفه الدم حتى مات، وفي ذلك يقول مروان بن الحكم ـ لعنهما الله تعالى:

شفيت غليلاً كان في الصَّدر كالشَّجَى ... بقتليَ قَتَّال ابن عَفَّان عثمانا

وما إن أبالي بعد قتلي طلحةً ... قتلت بعثمان بن عفان إنسانا

وأما الزبير بن العوام فإنه قَتَلَهُ رجلٌ من تميم يقال له: عمرو بن جرموز، نظر إليه فاراً فتبعه حتى قَتَلَهُ، وفي ذلك يقول عُمَرو:

أتيت علياً برأس الزبير ... وقد كنت أرجو به الزُّلفَة

فَبشِّر بالنار قبل العَيانِ ... فبئس التَّحيَّةِ والتُّحفَة

لَقتل الزبير ومثل الزبير ... كظرطة عنز بذي الجحفة

---

(١) - مروان بن الحكم بن العاص الأموي، طريد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طرده من المدينة هو وأبوه، كان شديد البغض والمعاداة لأمير المؤمنين عليه السلام ولأهل البيت، ولاه معاوية على المدينة، وتولى الخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية، هلك سنة (٦٥هـ).

قال خالد بن صفوان فما فرغ من ذكر طلحة والزبير وعائشة وشأن الحرب يوم الجمل.

قلت: يا ابن رسول اللّه، فإن الناس يزعمون بالشام أنّ عثمان قَتَله رجالٌ من أهل مصر ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار.

فقال: ما أشدَّ غفلتكم يا ابن الأهتم، وهل كان فيهم إلا قاتل أو خَاذِلٌ، أو لم تسمع شاعرهم حيث يقول:

قتلنا ابن أروى[1] بالكتاب و لم نكن ... لنقتله إلا بأمر مُحَكَّمِ
أطاع سعيداً والوليدَ وعَمَّهُ ... ومروان في المال الحرام وفي الدَّمِ
وقولَ أبي سفيان إذ كان قابلاً ... وصِيَّتَه في كل غَيٍّ ومأثمِ
وقد كان أوصاه بذاك ابن عامر ... فذاق بها من رأيه كأس علقمِ
نعاتبه في كل يوم وليلة ... على هدم دين أو هضيمة مسلمِ[2]
فما زال ذاك الدأب ستين ليلةً ... وست أعوام لدى كل موسمِ
وقلنا له: ولِّ وخَلِّ عن أمورنا ... فإنك إن تتركه نَسْلَمْ وتَسْلَمِ
وإلا فإنا قاتلوك ومادمٌ ... أبا اللّه إلا سفكه بمُحَرَّمِ
أبت نصرَه الأنصارُ والحَيُّ حَوْلَهُ ... قريشٌ وهم أهل الحَطِيمِ وزَمْزَمِ
وهم شهدوا بدراً وأحداً وناضلوا ... عن الدين والبيت العتيق المعظَّمِ
وهم أظهروا الإسلام شرقاً ومغرباً ... وهم نصروا دين النبي المكرَّمِ
أولئك حزب اللّه حيث تجمعوا ... فريقان: ذو خَذْلٍ وقَتْلٍ مُصَمِّم

---

(١) ــ المقصود بأروى المذكورة في هذا البيت: أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس أم عثمان بن عفان.

(٢) - في أنوار اليقين: (على هدم دين الله أو هضم مسلم).

قال خالد بن صفوان: فما زلت أستنشده أشعار المهاجرين والأنصار في قتل عثمان وأخباره، وهو ينشدني ويحدثني، حتى استحييت منه، وقلت لنفسي: قد أكثرت على ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم السؤال. وهو يقول: سَلْ عما بدا لك يابن الأهتم، فعلى الخبير سقطت.

[طلب الأذن بالمناظرة]

فقلت: يا ابن رسول اللّه إن ناساً من أهل الشام يزعمون أن معهم نَظَراً وفقهاً وحججاً، فإن أذنت لي أن أدخلهم عليك فيسألونك، ولعلك أن تقطعهم، ولعل كلامك أن يقع منهم كما وقع مِنِّي، فأبايعك على مجاهدة عدوك وهم حضور، وأرجوا أنهم إذا سمعوا كلامك ونظروا إليَّ أبايعك يدخلون معي في بيعتك، ويبايعون إذا أنت كسرت عليهم حجتهم. فقال لي: إيت بهم إذا شئت.

[كلام الشامي]

قال خالد بن صفوان: فأدخلتهم على الإمام أبي الحسين زيد بن علي ــ رحمة اللّه تعالى عليه وصلوات وإكرامه، وفيهم رجل قد انقادَ له جميع أهل الشام في البلاغة والبُصْرِ بالحُجَجِ، فلما دخلوا عليه سَلَّمُوا عليه ثم جلسوا، فقال لهم: ليتكلم متكلمكم.

فتكلم الشامي البليغ، فذكر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، ثم ذكر أبا بكر وعمر، إلى أن ذكر عثمان بن عفان أنه كان الخليفة والمظلوم، وكانت الجماعة معه وأنه إنما قُتِلَ مظلوماً، وأن اللّه عز وجل رَدَّ الخلافة في موضعها، وهم قرابة عثمان!! حين اجتمع الناس على بيعة معاوية بن أبي سفيان، ويزيد، وعبد الملك، والوليد، وسليمان، فجعل يذكر ملوك بني أمية واحداً واحداً، ويقول: إنه لم يكن جماعة قط إلا كانت على حَقٍّ، وهم أولى بالحق، وأهل الحق؛ لأنهم ــ يعني بني

أمية ــ قَرَابة الخليفة المقتلول ظلماً، فمن نَاصَبَهُمْ فهو يطلب غير الحق، ويطلب ما ليس له، ولا هو له مستحق!!

قال خالد بن صفوان: والإمام أبو الحسين زيد بن علي ــ عليه السلام ــ في كلِّ ذلك مُطْرِقٌ.

[جواب الإمام زيد على الشامي في أمر عثمان]

فلما قضى الشامي كلامه، قال له زيد بن علي ــ عليه السلام: إنك زعمت أن عثمان إنما قتله خاصٌ، وأن الجماعة كانت معه، وأنت تقول: إنه قُتِلَ مظلوماً، والله ما قتله إلا جماعة المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان، لا أنَّ المسلمين قتلوه، ولكن بعضٌ قَتَلَه وبعضٌ خَذَلَه، فكلٌ مُعِيْنٌ بقتاله الظالِمَ، لأنه كالجنائز إذا حضرها بعض المسلمين أغنى ذلك وأجزى عن الباقين، وكذا الجهاد في سبيل اللّه، إذا قام به بعض المسلمين أغنى ذلك وأجزأ عن القاعدين، فقتله أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم بكتاب اللّه تعالى، حين خالف كتاب اللّه تعالى، وكان أول الناكثين على نفسه، وأول من خالف أحكام القرآن، آوى طريد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم الحكم بن أبي العاص[1]، ومروان ابنه[2].

---

(١) ــ الحكم بن أبي العاص الأموي، كان كثير الإيذاء لرسول اللّه (ص) فطرده من المدينة ولعنه. قال عبدالله بن الزبير: لعن رسول اللّه (ص) الحكم وولده. روى ذلك الحاكم في المستدرك ٤٨١/٤ وصححه، وأقره الذهبي. وحاول الحكم العودة إلى المدينة في عهد أبي بكر وعمر بواسطة عثمان فرفضا عودته، وقال كل واحد منهما: ما كنت لآوي طريد رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ؛ فلما تولى عثمان أرجعه إلى المدينة وأعطاه مائة ألف وولاه على صدقات قضاعة فوهب له منها ثلاثمائة ألف درهم، وهلك سنة (٣١ هـ).

(٢) ــ مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي صاحب سيرة خبيثة، وهو أحد المحرضين لعثمان على

مع نَفْيِه أبا ذر(١) رحمه الله تعالى من المدينة إلى الرَّبذة(٢)، وإنما ينفى عن مدينـــة

فعل ما استنكره الناس منه، قد وردت في ذمه أخبار كثيرة، منها مارواه الحاكم في المستدرك (٤٧٩/٤) وصححه عن عبدالرحمن بن عوف أنه قال: كان لايولد لأحد بالمدينة ولد إلا أتى بـــه النبـــي (ص)، فأُدْخل عليه مروان بن الحكم، فقال: هو الوزغ بن الوزغ، الملعون بن الملعون. وزوجه عثمـــان ابنتـــه وأعطاه مائة وخمسين ألف أوقية من الذهب من بيت مال المسلمين، وقيل أعطاه خمسمائة ألف درهـــم خراج إفريقية، وقيل أعطاها ابن أبي سرح؛ وهلك سنة (٦٥هـــ).

(١) ـــ أبو ذر الغفاري اسمه: جندب بن جنادة الغفاري، كان أحد السابقين إلى الإسلام والمقربين إلى رسول الله (ص) وكان من النجباء، وممن يقول بتفضيل أمير المؤمنين عليه الســـلام، عُـــرِفَ بـــالزهد والصدق والعلم والعمل، وكان لا تأخذه في الحق لومة لائم، قال عنه النبي (ص): ((ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر)). وتوفي أبو ذر بالربذة سنة (٣٢هـــ).

(٢) - الأسباب التي نُفي أبو ذر من أجلها إلى الربذة مصادرها التاريخية كثيرة ولا يسع المقام حصرها وسردها، ولكن نختار من ذلك، ما رواه ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة (٣٧٥/٤) قال: (وسأورد القصة باختصار):

وأصل هذه الوقعة: أن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال، واختص زيد بن ثـــابت بشيء من ذلك، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشر الكافرين بعذاب أليـــــم، ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّـــهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٤)﴾[التوبة]، فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت، ثم إنه أرسل إليه مولى من مواليه: أن انْتَهِ عما بلغني عنك، فقال أبو ذر: أو ينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب مـــــن ترك أمر الله؛ فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان، أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضى عثمان. فأغضب عثمان ذلك، إلى أن قال عثمان يوماً والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضى فقال كعب الأحبار [من علماء اليهود]: لا بأس بذلك، فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا، فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، الحق بالشام، فأخرجه إليها.

قلت: فهذا الإخراج الأول لأبي ذر من المدينة إلى الشام، وكان الوالي من قِبَل عثمان هو معاوية.

قال ابن أبي الحديد: فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، إلى أن بنى معاوية مدينة الخضـــــراء

بدمشق، فكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، والله إني لأرى حَقّاً يُطفأ، وباطلاً يُحيا، وصادقاً مُكَذّباً، وأثرة من غير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

وكان أبو ذر يأتي كل يوم إلى باب الدار التي معاوية فيها ويصرخ قائلاً: أتتكم القطار تحمل النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له، فأدخل على معاوية يوماً فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله، تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع، فقال له أبو ذر: ما أننا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ودعا عليك مرات ألا تشبع.

..إلى قول ابن أبي الحديد: فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندباً إليّ على أغلظ مركب وأوعره، فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله على شارف (ناقة مسنة) ليس عليها إلا قتب، حتى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.

قلت: وهذه المرة الثانية التي أخرج أبو ذر من الشام وأُرجع إلى المدينة.

وكان من أمره مع عثمان أنه لما أعطى عثمان مروان بن الحكم وغيره من أقاربه الأموال واختصهم بها غضب الناس، وكان أبو ذر من أشدهم غضباً، فلما دخل على عثمان قال: أنت الذي فعلت وفعلت؟ قال أبو ذر: نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشني. قال عثمان: كذبت، ولكنك تريد الفتنة وتحبها قد أشعلت الشام علينا. قال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال عثمان: مالك وذلك لا أم لك؟! قال أبو ذر: والله ماوجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب!! إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فَرّق جماعة من المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام، فتكلم علي عليه السلام ــ وكان حاضراً ــ فقال: أشير عليك بما قال مومن آل فرعون: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ(٢٨)﴾[غافر].

فأجابه عثمان بجواب غليظ، فأجابه علي عليه السلام بجواب مثله.

ثم حَظَرعثمان على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلموه، فمكث كذلك أياماً ثم أتي به فوقف بين يديه فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيت أبا بكر وعمر هل هديك كهديهم. أما إنك لتبطش بي بطش جبار. فقال عثمان: اخرج عنا من بلادنا.

رسول الله صلى الله الفُسّاق والمخنّثون. ومع ضربه ابن مسعود[1] رضي الله عنه

فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ حوارك، فإلى أين أخرج؟ قال عثمان: إلى حيث شئت، قال أبو ذر: أخرج إلى أرض الشام أرض الجهاد؛ فأبى عثمان، وقال: إنما حليتك منها لما أفسدتها، قال: فإلى العراق؛ فأبى عثمان، قال: فإلى مصر؛ فأبى، فنفاه عثمان وأخرجه إلى الربذة مكرهاً غير مختار.

ثم أمر مروان بن الحكم بإخراجه إلى الربذة؛ فهذا هو النفي الثالث الذي واجهه أبو ذر من عثمان بن عفان، والله هو الحكم، وإليه المرجع والمآب، وهو الذي يفصل ويأخذ للمظلوم ممن ظلمه.

ومصادر هذه الحادثة كثيرة، منها: تاريخ اليعقوبي (٢/٦٨ــ٦٩)، ومروج الذهب للمسعودي (٢/٣٥٨)، للمغازي للواقدي، شرح ابن أبي الحديد (٤/٣٧٥)، والغدير للأميني (٨/٢٩٣)، وغيرها.

(١) ــ عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب التميمي، فقيه الأمة، كان من السابقين الأولين ونجباء الصحابة، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومحبيه وممن يفضله، توفي سنة (٣٢هـ).

وكانت قصته مع عثمان على ما يلي:

كان عبدالله بن مسعود على مفاتيح بيت مال المسلمين في الكوفة، وكان الوالي عليها سعد بن أبي وقاص، فلما عزله عثمان وولى مكانه الوليد بن عقبة ــ أخو عثمان من الرضاعة ــ الذي سماه الله عز وجل فاسقاً في قوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[الحجرات] وغيرها من الآيات.

فلما تولى الوليد أتى عبدالله بن مسعود إليه وألقى إليه مفاتيح بيت مال المسلمين، وقال: من غَيَّر غَيَّر الله ما به، ومن بدل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدل، أُيعزل مثل سعد بن أبي وقاص، ويولى الوليد.

وكان يقول كل يوم جمعة بالكوفة جاهراً معلناً: ((إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)) حتى غضب عليه الوليد، فكتب إلى عثمان بذلك وقال: إنه يعيبك ويطعن عليك.

فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه إليه، فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه، فقال: إن له عليّ حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من فتح باب الفتن، فرد الناس وخرج إليه، وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن، فقالوا له: حزيت خيراً، فلقد علّمت

جاهلنا، وثبّتْ عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، فنعم أخو الإسلام أنت، ونعم الخليل، ثم ودعوه وانصرفوا.

وقد ابن مسعود للمدينة ليلة الجمعة، فلما علم عثمان بدخوله، قال: أيها الناس إنه قدم عليكم الليلة دويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء ويسلح، فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكني صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوم بدر، وصاحبه يوم أحد، وصاحبه يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين.

وصاحت عائشة: أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؛ فقال عثمان: اسكتي، ثم قال لعبدالله بن زمعة بن المطلب: أخرجه إخراجاً عنيفاً، فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد، فضرب به الأرض، فكسر ضلعاً من أضلاعه، فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمعة الكافر، بأمر عثمان، وفي رواية أخرى: أن فاعل ذلك يحموم مولى عثمان، وأنه لما احتمله ورجلاه تختلفان على عنقه قال له ابن مسعود: أنشدك الله ألا تخرجني من مسجد خليلي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً، فقال: ما تشتكي ؟ فقال: ذنوبي. قال: فما تشتهي ؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا أدعو لك طبيباً ؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: أفلا آمر لك بعطائك؟ قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه. قال: يكون لولدك. قال: رزقهم على الله تعالى. قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن. قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك حقي.

فلما حضره الموت قال: من يتقبل مني وصية أوصيه بها على ما فيها ؟ فسكت القوم وعرفوا الذي يريد، فأعادها، فقال عمار بن ياسر: أنا أقبلها، فقال ابن مسعود: ألاّ يصلي عليّ عثمان، قال: ذلك لك.

فيقال أنه لما دفن جاء عثمان منكراً لذلك، فقال له قائل: إن عماراً ولي الأمر، فقال لعمار: ما حملك على أن لم تؤذني ؟ فقال: عَهِد إليّ أن لا أؤذنك.

انظر: ابن أبي الحديد شرحالنهج (٣/٣٢ـ ٣٥) الغدير (٩/٣ـ٥) ومصادره.

وقد ذكر ابن أبي الحديد أيضاً قصة أخرى في ضرب ابن مسعود (٣/٣٤) قال: وقد روى محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي: أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه أبا ذر.

حتى مات.ومع مشيه على بطن عَمّار بن ياسر(١) رحمة الله تعالى عليهما حتى

(١) ــ عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة القحطاني، أحد السابقين الأولين والأعيان البدريين، أمه سمية مولاة بني مخزوم من كبار الصحابيات، وأول شهيدة في الإسلام، جاء في حقه عن النبيّ (ص): «عمار مليء إيماناً إلى مشاشه ». أخرجه النسائي ١١١/٨، والمشاش: جمع مشاشة وهي رؤوس العظام اللينة. وقال فيه: «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية »، وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد ١٩٤/١ عن أبي سعيد وفي كتاب الجهاد والسير باب مسح الغبار ٧٧/٤، ومسلم في الفتن ٢٢٢٣٥/٤ (٢٩١٥/٧٠) وما بعده، وأحمد ٥/٣ وغيرهم.

وضرب عثمان لعمار بن ياسر مما لا تنكره المصادر التاريخية، وقد اختلف في السبب الذي لأجله ضرب عمار ظلماً حتى مرض طويلاً على ثلاثة أقوال:

أحدها: بسبب أنه لم يؤذنه بالصلاة على ابن مسعود، على ما تقدم في الحاشية السابقة، فعند ذلك وطئه عثمان حتى أصابه الفَتْق. ابن أبي الحديد (٣٧/٣)، الأميني في الغدير (١٩/٩) عن البلاذري في الأنساب (٤٩/٥).

الثاني: أن المقداد وعماراً وطلحة والزبير وعدة من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كتبوا كتاباً عددوا فيها أحداث عثمان، وخوفوه به، وأعلموه أنهم مواثبوه إن لم يقلع، فأخذ عمار الكتاب فأتاه به.

فقرأ منه صدراً ثم قال له: أعليَّ تُقْدِم من بينهم، فقال: لأني أنصحهم لك، قال: كذبت يا ابن سمية، فقال: أنا والله ابن سمية وابن ياسر؛ فأمر عثمان غلماناً له فمدوا بيديه ورجليه، ثم ضرب عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه.

ابن أبي الحديد (٣٨/٣)، ابن عبد ربه العقد الفريد (٢٧٢/٢)، نقله عنه في الغدير (١٨/٩).

الثالث: أنه كان في بيت المال سفط فيه حلي وجواهر، فأخذ منه عثمان الحلي وأعطى بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلموه فيه بكلام شديد، حتى أغضبوه، فخطب وقال: لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت به أنوف أقوام، فقال علي عليه السلام: إذن تمنع من ذلك ويُحال بينك وبينه.

فقال عمار: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك، فقال عثمان: أعلي يا ابن ياسر تجترئ، خذوه،

سَدِمَ[١] من ذلك دهراً طويلا، ومع أخذه مفاتيح بيت مال المسلمين من عبدالله بن الأرقم[٢]، وإنفاقه المال على من أحب من أقاربه.

[قال خالد بن صفوان]: وأشياء كثيرة ذكرها وعددها. فإعجم القوم عن جوابه، لأنه جاءهم بأمر حيّرهم، فقالوا له: صَدَقْتَ يابن رسول الله، والحَقُّ منّا قلت، إن القوم لم يقتلوا عثمان إلا عن أمر بيّنٍ، وخلاف ظاهر، وجورٍ شامل، ونكث.

فأخذ ودخل عثمان، فدعا به فضربه حتى غشي عليه، ثم أخرج فحمل حتى أتي به منزل أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ، فلم يصل الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلى، وقال: الحمد لله، ليس هذا أول يوم أوذينا في الله تعالى.

وبلغ عائشة ما صُنع بعمار فغضبت أيضاً، وأخرجت شَعَراً من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ونعلاً من نعاله وثوباً من ثيابه وقالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهذا ثوبه وشعره ونعله لم يَبْلَ بعد.

ابن أبي الحديد (٣/٣٧)، الغدير (٩/١٥) عن البلاذري في الأنساب (٥/٤٨).

(١) ــ سدم: أصيب بالمرض، والهم، والحزن.

(٢) ــ عبدالله بن الأرقم بن أبي الأرقم، واسمه عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف القرشي الزهري، أسلم عام الفتح، وكتب الوحي للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ثم لأبي بكر ثم لعمر واستعمله على بيت المال وبقي إلى أن مات عمر، ثم ولاه عثمان على بيت المال، وأعطاه ثلاثين ألفاً فأبى أن يقبلها، وقال: إنما عملت لله، وتوفي في خلافة عثمان.

وقصة المفاتيح: أن عثمان أعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، فجاء ابنالأرقم بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمي ؟ قال: لا، ولكن أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل في حياة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال عثمان: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإنا سنجد غيرك.

ابن أبي الحديد (١/١٥٤)، الأميني في الغدير (٨/٢٦٠).

[الجواب على الشامي في القلة والكثرة]

ثم أقبل على الشامي البليغ بزعمهم، فقال له:

أما ماذكرت من أنها لم تكن جماعة قط إلا كانوا أهل حق. فإنهم ولوا معاوية بن أبي سفيان فاستأثر بفيء المسلمين، واضطر أهلَ الشام إلى خِدْمَة اليهود والنصارى، وأعطى الأموال مَنْ أحَبَّ من الفساق، فأيْتَمَ الأطفال، وأرْمَلَ الأزواج، وسَلَبَ الفقراء والمساكين، ثم قَدَّموا بعده ابنه يزيد، فقتل الحسين بن فاطمة صلوات الله عليهما، وساروا إليه ببناته حُسَّراً على نُوقٍ صِعَابٍ، وأقْتَابٍ عَارِيَةٍ، كما يفعل بسبي الروم، فلوا أن اليهود أبصرت إبناً لموسى بن عمران لأكرمته وأجلته وأجلت قدره، وعرفت حقه.

فكيف زعمت أن جماعة قَدَّموا رجلاً على أمانتهم فَقَتَلَ ولدَ نبيهم ثم سكتوا على ذلك، و لم يكن عليه في ذلك منهم نكير، فكيف زعمت أن هؤلاء جماعة، أو هم على حق؟!

والله تعالى قد مَدَح القليل إذْ كانوا على حَق، ألا تسمع إلى قوله تعالى في داوود: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، فقد ذَمَّ الله تعالى الكثير ومَدَح القليل، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[هود: ١١٦] كما ترى، وقال تعالى في قوم نوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٦٦].

وقال تعالى في ذَمِّ الجماعة والكثير: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٩](١).

حتى عدد في ذم الكثرة أكثرمن مائة وعشرون آية، وقريباً من ذلك في مدح القلّة.

قال خالد بن صفوان: مع أن كثيراً قَدْ ذَكَر في كتاب اللّه ما حفظت منه إلا هذا، فلم يذكر كثيراً إلا ذمه، و لم يذكر قليلا إلا مدحه، والقليل في الطاعة هم الجماعة، والكثير في المعصية هم أهل البدع.

قال خالد بن صفوان: فَبَسَر الشامي فلا أحلَى ولا أمَرّ، وسكت الشاميون فلم يجيبوا لا بقليل ولا بكثير، ثم قاموا من عنده فقالوا لصاحبهم: فعل اللّه بك وفعل، غررتنا وزعمت أنك لا تدع له حجة إلا كسرتها، فَخَرِسْتَ فلم تنطق.

فقال لهم: ويلكم، كيف أكلم رجلا إنما حاجّني بكتاب اللّه، فلم أستطع أن أكذّب كتاب اللّه تعالى.

فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك: ما رأيت في الدنيا قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجج والخير على مولانا أمير المؤمنين أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين ــ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين.

[تم بحمد اللّه]

---

(١) ــ إلى هنا انتهى ما في أنوار اليقين.

من رسائل الإمام زيد بن علي(ع)

١- رسالة الإمام زيد بن علي(ع) إلى علماء الأمة.

٢- رسالة الإمام زيد بن علي(ع) في الحقوق.

٣- الرسالة المدنية.